

الحكم التي من أجلها خلقت النجوم

قال -رحمه الله تعالى- ذكر النجوم. قال: حدثنا أحمد بن يحيى قال: حدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } قال: تدور في أبواب السماء كما تدور الفلكة في المغزل. قال: حدثنا نوح بن منصور قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قال: حدثنا حجاج عن ابن جريح قال: حدثني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا رحمه الله تعالى يقول: { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } قال: النجوم والشمس والقمر قال: كفلكة المغزل قال: وهو مثل الحسيان قال: فلا يدور المغزل إلا بالفلكة ولا تدور الفلكة إلا بالمغزل ولا تدور الرحي إلا بالحسيان ولا يدور الحسيان إلا بالرحي. كذلك النجوم والشمس والقمر في فلك لا يدمن إلا به ولا يدور إلا بهن قال: فقهر بإصبعه، فقال مجاهد يدورون كذلك كما نفر قال: والحسيان والفلك بصيران إلى شيء واحد غير أن الحسيان في الرحي كالفلكة في المغزل كل ذلك عن مجاهد رحمه الله تعالى. قال: حدثنا محمود الواسطي قال: حدثنا عمرو بن أبي عاصم قال: حدثنا أبي قال: حدثنا شبيب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: { فَلَا أُقْسِمُ بِالنُّجُومِ } قال: الخنس نجوم يقطعن المجرة كما تجري الفرس { الْجَوَارِي الْكُنُوسِ } يتوارين. قال: أخبرنا أبو أحمد بن عمرو بن أبي عاصم قال: حدثنا أبي قال: حدثنا شبيب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: { وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ } قال: النجم المضيء. قال: أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا جعفر بن مهران قال: حدثنا علي بن عباس عن السدي رحمه الله تعالى في قوله: { فَلَمَّا جَزَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا } قال: هو المشتري وهو الذي يطلع نحو القبلة عند المغرب. قال: حدثنا محمد بن الفضل بن الخطاب قال: حدثنا إبراهيم بن مسعود قال: حدثنا أبو أسامة قال: حدثنا زكريا عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا رأيت الكوكب قد رمى به وتوارى فإنه لا يخطر وهو يحرق ما أصابه ولا يقتل. قال: أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا هدية قال: حدثنا أبو هلال قال: ذكر عند الحسن حر سهل وبرده؛ فقال: إن سهيلا لا يجر ولا يبرد ولكنه قضاء الله وأمره. قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا قال: حدثنا سعيد بن يحيى حدثنا مسلم عن عنبسة عن السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثنا في سهيل: أمرت النجوم بأمر وأمر وخالف فحول فيهم. قال: حدثنا عبد الله بن أسيد قال: حدثنا محمد بن نواب قال: حدثنا وكيع عن إسرائيل عن جابر عن الرحي قال: لم يطلع سهيل إلا في الإسلام وأنه لممسوخ. قال: حدثنا ابن أسيد قال: حدثنا محمد بن نواب قال: حدثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن أبي الطفيل أن عليا -رضي الله عنه- كان إذا رأى سهيلا سبه وقال: إنه كان عشارا باليمن يخس بين الناس بالظلم فمسخه الله شهابا. قال: حدثنا إسحاق بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن عمران قال: حدثنا إسحاق بن سليمان عن عمر بن قيس بن يحيى بن عبد الله عن أبي الطفيل رضي الله عنهما قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- { لعن الله سهيلا كان عشارا بعشر في الأرض بالظلم فمسخه الله شهابا } . قال: حدثني عبد الله بن قحطبة قال: حدثنا بشر بن آدم قال: حدثنا الضحاك بن مخلد عن سفيان عن خفيف عن مجاهد رحمه الله تعالى { وَائْتَهُ رَبُّ السَّعْرَى } قال: قال: الكوكب الذي وراء الجوزاء. قال: حدثنا أبو أسيد قال: حدثنا عبيد الله بن جبرير قال: حدثنا سهل بن بكار قال: حدثنا محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { إذا ارتفعت النجوم رعت العاهة عن كل بلد } . قال: حدثنا المروزي قال: حدثنا عاصم قال: حدثنا ابن أبي ذئب عن عثمان بن عبد الله بن سراقه قال: حدثنا عمر رضي الله عنهما { أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن بيع التمار حتى تذهب العاهة } قال ابن سراقه: متى ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: طلوع الثريا. قال: حدثنا إسحاق بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن عمران قال: حدثنا يعلى بن عبيد قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن عمير بن سعيد قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيت هذه الزهرة وبسميها العجم أناهيد؟ كانت امرأة وضاة وكان هذان الملكان يهبطان أول النهار فيحكما بين الناس ويصعدان آخر النهار، فأنتهما فاراداها كل واحد منهما من نفسها من غير علم من صاحبه، فقال أحدهما للآخر: يا أخي إن في نفسي بعض الأمر أريد أن أذكره لك. قال: فأذركه ففعل الذي في نفسي مثل الذي في نفسك فأخبره فإذا هما على أمر واحد. فقالت: ألا تخبراني بما تهبطان به إلى الأرض وسما تصعدان به إلى السماء؟ فقالت: باسم الله الأعظم به تصعد وبه تهبط. قالت: ما أنا بمؤانثكما الذي تريدانه حتى تعلمانيه. فقال أحدهما لصاحبه: علمها إياه. فقال: كيف لنا بشدة عذاب الله. فقال: إنا نرجو سعة رحمة الله. فعلمها إياه فتكلمت به فطارت به إلى السماء، ففرع منها ملك في السماء فقام ينظر إليها فطأها رأسه، قال: أراه فما جلس بعد، فمسخها الله عز وجل فكانت كوكبا. قال: حدثنا إسحاق قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا إسحاق بن سليمان وابن داود عن طلحة عن عطاء رحمه الله تعالى قال: نظر عمر رضي الله عنه إلى سهيل فسيه، ونظر إلى الزهرة فسيها، فقال: أما سهيل فكان رجلا عشارا، وأما الزهرة فهي التي فتنت هاروت وماروت. قال: حدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد رحمه الله تعالى وأما هاروت وماروت فكانان الملائكة عجت من ظلم ابن آدم وقد جاءتهم الرسل بالكتب والنبأت فقال لهم ربه: اختاروا ملكين أنزلهما بحكماني الأرض بين بني آدم. فاختاروا هاروت وماروت فكانا يهانان بالناهار بين بني آدم فإذا أمسوا عرجا، وكانا مع الملائكة، حتى أنزلت عليهما الزهرة في صورة أحسن امرأة فخاصم فقضيا عليهما، فلما قامت وجد كل واحد منهما في نفسه فقال أحدهما لصاحبه: أوجدت مثل ما وجدت؟ فقال: نعم. فبعنا إليها: أن أتينا نقض لك. فلما رجعت قالها وقضيا لها: أتينا في البيت. فأتتهما، فلما بلغا ذلك واستحلا افتتحتا طارت الزهرة فرجعت حيث كانت، فلما أمسيا عرجا فزجرا ولم يؤذن لهما ولم تحملهما أجنحتها. قال: حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء قال: حدثنا علي بن المديني قال: حدثنا يحيى بن سعيد قال: حدثنا عبيد الله بن الأنخس قال: حدثني الوليد بن عبد الله بن أبي معيت عن يوسف بن ماهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال: النبي -صلى الله عليه وسلم- { من تعلم علما من النجوم تعلم شعبة من السحر زاد راد } . قال: أخبرنا أبو يعلى قال: حدثنا العباس بن الوليد قال: حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة رحمه الله تعالى قال: إن الله تبارك وتعالى خلق هذه النجوم ثلاث خصال: جعلها زينة السماء، وجعلها زينة الدنيا، وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قلل رأيه وأخطأ حظه وأصاب نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسا جهلة بأمر الله تعالى قد أخذوا في هذه النجوم كهانة من عرس بنجم كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. وليعمرني ما من نجم إلا يولد به القصير والطويل والأحمر والأبيض والحسن والدميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذه الطير شيئا من الغيب وقضى: { لَا تَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ } ولعمرني لو أن أحدا علم الغيب لعلم آدم الذي خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة يأكل منها رغدا حيث شاء، ونهي عن شجرة واحدة فلم يزد به البلاء حتى وقع بما نهى عنه، ولو كان أحد يعلم الغيب لعلم الجن حيث مات سليمان بن داود عليهما السلام فليئت تعمل حولا في أشد العذاب وأشد الهوان لا يشعرون بموته فما دهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته أي: تأكل عصاه { فَلَمَّا جَزَّ تَبْيَّتَ الْجَنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } وكانت الجن تقول مثل ذلك: إنها كانت تعلم الغيب وتعلم ما في غد فابتلاه الله ما عز وجل بذلك وجعل موت نبي الله -صلى الله عليه وسلم- للجن عظة وللناس عبرة. قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا علي بن سهل القرظي قال: حدثنا الوليد عن أحمد بن محمد بن كريب عن أبيه عن جده كريب أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: له غلام إياك والنظر في النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة. قال: حدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم رحمه الله تعالى { وَعَلَامَاتٍ } قال: هي الأعلام التي في السماء { وَيَاتِلُجْمُ هُمْ يَهْتَدُونَ } قال: يهتدون به في البحر في أسفارهم. قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا أحمد بن سعيد قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنا ابن لهيعة عن أبي صخر عن القرظي رحمه الله تعالى قال: ذكر عنده علم النجوم فقال: والله ما في النجم موت أحد ولا حياته. إنما جعل الله عز وجل النجوم زينة ورجوما للشياطين. قال: حدثنا إبراهيم بن محمد قال: حدثنا محمد بن هاشم قال: حدثنا محمد بن شبيب عن عمر مولى غفرة أنه سمع القرظي رحمه الله تعالى يقول: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء من نجم ولكن يتبعون الكهنة ويتخذون النجوم علما. قال: حدثني أحمد بن الفاسم عن إسحاق بن إبراهيم شاذان قال: حدثنا عصمة بن المتوكل قال: حدثنا زافر بن سليمان عن عبد الرحمن المحاربي عن عمر بن حسان قال: كان عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه منجم فلما أراد أن يسير إلى النهروان قال: يا أمير المؤمنين لا تسر هذه الساعة التي أمرك فيها فلان فإنك إن سرت فيها أصابك وأصحابك ضر وأذى وسر في الساعة التي أمرك فيها فإنك إن سرت فيها ظهرت وظفرت وأصبت فقال: أتدري ما في بطن هذا الفرس أذكر هو أم أنتي؟ قال: إن حسبت علمت قال: من صدقك بهذا كذب بالقرآن لقد ادعيت علما ما ادعاه محمد -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } .. الآية، أتزعم أنك تهدي للساعة التي يصيب النفع من سار فيها وتهدي للساعة التي يحيق النسوة لمن سار فيها؟ قال: نعم. قال: من صدقك بهذا استغنى عن أن استعان بالله، وينبغي للمقيم بالساعة أن يوليئ الحمد لله عز وجل: لأنك هديت للساعة التي يصيب النفع من سار فيها وصرفته عن الساعة التي يصيب البهوت من سار فيها، بل نكذبك وتخالفك ونسيري في الساعة التي تهنتا فيها، ثم قال: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك. ثم قال: أيها الناس! إنما المنجم مثل الساحر، والساحر مثل الكاهن، والكاهن مثل الكافر، والكافر في النار. ثم قال: والله لئن بلغني أنك نظرت في شيء من هذه لأخلدنك في السجن ما بقيت، ولأحرمنك العطاء ما بقيت. ثم سار فظفر فقال: لو سرتنا في الساعة التي أمرنا فيها المنجم لقال الناس: سار في الساعة التي أمره فيها المنجم فظفر، ما كان لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- منجم ولا لنا بعده. من آيات الله تعالى: هذه النجوم التي جعلها في السماء. لا تبيك أنها من الآيات والنباتات ومن المخلوقات الباهرة التي جعلها عبرة للمعتبرين. ذكر الله تعالى من الحكمة فيها قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ } أي: إذا سرتهم في الليالي المظلمة فإنكم تهتدون بالنجوم وتعرفون الجهات التي تتوجهون إليها إذا كنتم أهل معرفة بمواقع هذه النجوم. وقد أقسم الله تعالى بمواقعها: { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَعَائِهِ لَقَسْمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ } موافعها التي خلقت فيها والتي هي مسيرة مسخرة. كذلك قال تعالى: { وَلَقَدْ رَئَيْنَا اللَّيْسَاءَ الدُّنْيَا بِمَضَابِحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ } فجعلها الله تعالى زينة قال تعالى: { إِنَّا رَبُّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا رَبُّنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّيْطَانِ مَارِدًا لَا يَسْبَغُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ } . فأخبر تعالى بالحكم التي في هذه النجوم: الأولى: أن هذه النجوم زينة للسماء. إذا كانت الليلة مظلمة وأنت في برية ونظرت إلى السماء ونجومها تزهر من هنا ومن هنا عرفت أنها زينة من أفضل الزينة التي جعلت للسماء الدنيا: { وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَضَابِحٍ } . ثانيا: جعلها الله تعالى علامات يهتدى بها في قوله تعالى { وَيَاتِلُجْمُ هُمْ يَهْتَدُونَ } يسبرون في الظلمات في الليالي المظلمة ويعرفون الجهة التي يتوجهون إليها جهة كذا وكذا، فيكون ذلك علامة ودلالة لهم على المقصد الذي يقصدونه ويريدونه حتى لا يضلوا. كذلك جعلها الله رجوما للشياطين، الشياطين الذين يصعدون إلى السماء فيسترقون السمع من الملائكة فيرجون كما في قول الله تعالى: { وَجَعَلْنَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ } وإذا رأيتهم هذه اليبازك وهذه الشهب التي يرمى بها فيما يرمى بها الشيطان أو الشياطين الذين يسترقون السمع. في حديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الشياطين والجن يكون بعضهم فوق بعض فإذا سمع أحدهم كلمة من الأمور الغيبية يلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقوها على لسان الساحر أو الكاهن من الإنس ولكن يرجون بالشهب، فتحرقهم تلك الشهب التي أخبر الله بأنهم يرمون بها؛ ففي رجوم للشياطين. هذه من الفوائد التي خلقت لها النجوم. ولا شك أيضا أنها عبرة للمعتبرين وأن فيها أيضا معرفة بمنزل القمر؛ ولهذا قال الله تعالى: { وَالْقَمَرَ قَدْرَتَاةً مَنَازِلَ } أي: في كل ليلة ينزل منزلة من ليالي الشهر فتلك المنازل هي منازل من النجوم. يعني: فينزل في الثريا ليلة وفي الليلة التي بعدها في الدبران أو محاذيا للدبران، وفي الليلة بعدها الهقعة، وفي الليلة التي بعدها الهقعة وهكذا، هذه منازل القمر: { وَالْقَمَرَ قَدْرَتَاةً مَنَازِلَ } . وفي هذه النجوم أيضا معرفة الحساب ولهذا قال الله تعالى: { السَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَحُسْبَانُ النَّجْمِ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ } فحسبان: يعني: تعرفون بها الحساب وتعرفون بها المواضع التي تتحاجون إليها، فيأمر يعرف إقبال الشتاء، وإقبال الصيف وإقبال الخريف، ويعرف أيضا أوقات الذورات إذا طلع هذا النجم علم أنه موسم الحسبان كذا وكذا من الأشجار، أو يذر كذا وكذا من النباتات التي قدر الله أنها تنبت في ذلك النجم، ولهذا رخص في تعلم منازل القمر والشمس، منازل القمر، وفي تعلم حسابها وما يستفاد منها الكثير من الأئمة كأحمد بن حنبل وإسحاق وغيرهما. لا شك أن هذا دليل على أن الله تعالى جعل في هذه النجوم آيات وعبرا يعتبر بها أولي الأبصار وأهل المعرفة.